ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/
JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities
كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

Doaa Mohammed Rajab Abdullah Al-Jumaili

Ministry of Higher Education and Scientific Research University of Tikrit - Faculty of Basic Education \ Shirqat

* *Corresponding author: E-mail* : 9647711825534
Doaa.muh.rajab@tu.edu.iq

Keywords:
Evolution
introduction
Abu Al-Atahiya
Abbasid era
poem

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	11 July 2024
Received in revised form	25 July 2024
Accepted	27 July 2024
Final Proofreading	5 Oct 2024
Available online	6 Oct 2024

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Development and Renewal in the Introduction to the Poem in the Abbasid Era : Abu Al-Atahiya as an Example

A B S T R A C T

This research tries to examine the most important developments that accompanied the introduction in the Abbasid era, the golden age in which civilization and development reached the highest levels of sophistication and prosperity, as well as the most important changes in the poem through two aspects, the traditional one in which the poet remained committed to the ancient traditions of ruins and crying at home, followed by the purpose of the poet , and the renewal, which represents the introduction of the Abbasid poem that carries the potentials of creativity and diversity of poetic purposes, this part in which the poet begins directly for the purpose of the poem, such as the wine introduction that was common in the Abbasid era, flirtation, praise, psychological and other purposes, as well as the research presented a presentation of the poet Abu al-Atahiyya his life, and his cultural career, approaching his poetic experience and his most prominent compositions, and analyzing poetic models in which reflect the developments of the introduction in the Abbasid era, employing the two strands in his texts, it has been linked to the traditional introductions and launched from him in traditional texts, renewing other poetic features in his style.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.31.10.2024.02

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

التطور و التجديد في مقدمة القصيدة في العصر العباسي _ أبو العتاهية أنموذجاً

دعاء محمد رجب عبدالله الجميلي/جامعة تكريت– كلية التربية الأساسية – الشرقاط

الخلاصة:

يحاول هذا البحث ان يبحث اهم التطورات التي واكبت المقدمة في العصر العباسي, العصر الذهبي الذي بلغت فيه الحضارة و التطور اعلى المستويات من الرقي و الازدهار, وكذلك اهم التغييرات التي طرأت على القصيدة من خلال شقين هما التقليدي الذي ظل الشاعر فيه متمسكاً بالتقاليد القديمة من الاطلال و البكاء على الديار يليها الغرض الذي يروم اليه الشاعر , و التجديدي و هو الذي يمثل مقدمة

القصيدة العباسية التي تحمل في طياتها مكنونات الابداع وتنوع الاغراض الشعرية , فهذا الشق يبدأ فيه الشاعر مباشرة بغرض القصيدة مثل المقدمة الخمرية التي شاعت في العصر العباسي و الغزلية و المدحية و النفسية وغيرها من الاغراض , وكذلك قدم البحث عرضاً عن الشاعر ابو العتاهية حياته, ومسيرته الثقافية, متناولاً تجربته الشعرية وابرز مؤلفاته وتحليل نماذج شعرية اتضحت فيها تطورات المقدمة في العصر العباسي , موظفاً الشقين في نصوصه , فقد اتضح توظيفه للمقدمات التقليدية و المقدمات المستحدثة , مرتبطاً بالماضي ومنطلقاً منه في نصوصه التقليدية , متجدداً بميزات دون غيره من الشعراء في نصوصه المستحدثة في اسلوب يلائم بيئته وعصره موضحا معالم القصيدة من خلال مقدمتها .

الكلمات المفتاحية :تطور , مقدمة , ابو العتاهية , العصر العباسي , قصيدة

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لقد تميز العصر العباسي عن بقية العصور بنقلة حضارية كبرى شملت جوانب الحياة المختلفة ومن هنا حظي الشعر في العصر العباسي بتطور ورقي يسجل لهذا العصر الذهبي ، نتج عنه ظهور كوكبة من الشعراء المبدعين وكان ابو العتاهية من هؤلاء الشعراء البارزين ،والذي حظي بدراسات كثيرة ومتنوعة ، شملت جوانب حياته الشخصية ، وإنتاجه الشعري ، وتأثره وتأثيره ، وما ذلك أنه استطاع بما يتميز به شخصه من مميزات، وبما خلفه من شعر يعكس إبداعه وتألقه أن يكون على قمة شعراء العصر العباسي ،حتى أضحى صيته في كلّ عصر ، وسيظلّ له أثره الإيجابي على كلّ من يقدر ويجل شخصه وإنتاجه الشعري.

لقد تصفحت ديوان أبي العتاهية وتأملته ، ورغبت في دراسة مقدمات قصائده لأسباب عدة اهمها تعكس مقدمات قصائد ابي العتاهية اتصاله بماضيه وربط هذا الماضي بالحاضر وكذلك تعكس مقدمات قصائده بشقّيها التقليدي والتجديدي إحكام الشاعر الفنان للغته ، وحذقه في صياغته ونظمه لشعره ، وتألقه في التعبير عن معانيه بأروع الألفاظ المنتقاة بعناية وإحكام، وايضاً حين نتأمل مقدماته التجديدية نشعر أننا إزاء شاعر فنان قد أحكم صنعته، اذ خرج فيها عن تقاليد الشعراء المتقدمين في مقدمات قصائدهم ، فجاء بشيء اخر مغاير لهذا التقديم الذي عده بعض النقاد أساساً في بناء القصيدة العربية ، فصدر قصائده بمقدمات تجديدية لا تمت للتقليدية بِصلة ، فجدد بذلك تجديداً أثبت من خلاله شاعريته وقدرته الفنية.

ومن هنا وقع اختياري على (التطور و التجديد في مقدمة القصيدة في العصر العباسي , ابو العتاهية انموذجاً).

ان من اهم المصادر التي اعتمدتها في بحثي هذا هي (ديوان ابو العتاهية، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الاول، ابو العتاهية حياته واغراضه الشعرية، كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني (ت 356هـ)) والعديد من المصادر المهمة ولقد اعتمدت في كتابة بحثي هذا على الاسلوبين التحليلي والوصفي .وتم تقسيم البحث الى مبحثين اذ تضمن المبحث الاول المقدمات التقليدية وفيه مطلب واحد وهو (مقدمة الطلل). وتضمن المبحث الثاني المقدمات التجديدية وفيه ثلاثة مطالب, المطلب الاول مقدمة الغزل والمطلب الثاني مقدمة المديح اما المطلب الثالث فيتضمن المقدمة الخمرية, ثم الخاتمة .

التمهيد:

المطلب الأول: التعريف بمضامين العنوان.

المطلب الثاني: دور المقدمة في القصيدة العباسية.

المطلب الثالث: نبذة موجزة عن الشاعر ابو العتاهية.

التمهيد

التطور : لفظة التطور رغم شيوعها ليس لها حضور في كتب التراث اما في العصر الحديث فجاء في المعجم الوسيط ان التطور هو التغيير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ويطلق ايضا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع او العلاقات او القيم السائدة (ابراهيم مصطفى و اخرون , 1889 , 570/3).

المقدمة لغة: من قدم يقدم فمقدمة الرحل: مقدمة وامتشطت المرأة المقدمة، وهو ضرب من المشط ومقدمة الجيش اوله (ابو بكر محمد بن دريد الازدي، (ت 321هـ) ط الاولى 1987م،675/2.).

والقَدَمُ والقُدْمة: السبقة في الأمر، وتقدمت القوم سبقتهم ومنه:(مقدمة) الجيش الذين يتقدمون بالتثقيل اسم فاعل، ومقدمة الكتاب مثله(احمد بن محمد بن علي الفيومي ط2،493).

المقدمة اصطلاحاً: هي ما يتوقف عليه الشيء وهي من التقديم بمعنى التقدم(صديق بن حسن القنوجي، ١٩٧١م، 196/1.).

ويبدو تعريف المقدمة نابعاً من الفلسفة فقد (جرى العرف على تقسيم الفلسفة النظرية الى مقدمة واربعة اقسام اما المقدمة فهي المنطق او دراسة الفكر الواضح)(مصطفى سويف، ١٩٧٠م، ط: ٣، ٢٣.)

القصيدة لغة: القصد استقامة الطريق، قصد يقصد قصداً فهو قاصد والقصد اتيان الشيء(ابن منظور، ،ط،1997,264.).

القصيدة اصطلاحاً: يعرف ابن منظور (ت711هـ) القصيدة بقوله القصيد من الشعر ما تم شطر ابياته، وفي التهذيب شطرا بنيته، سمي بذلك لكماله وصحة وزنه، وقال ابن جني (ت 392هـ) سمي قصيدا لإنه قصد واعتمد. وقيل سمي قصيداً لان صاحبه احتفل به فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار، وليس القصيد الا ثلاثة ابيات او عشرة او خمسة عشر وما زاد على ذلك انما تسميه العرب قصيدة (ابن منظور،1997،1, 264.) .

دور المقدمة في قصيدة الشعر العباسي:

ان الشاعر العباسي عاش حالة من التغيير طالت مجالات الحياة كافة , فقد شهد كثيراً من وجوه التغيير على المستويات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و التي انعكست جميعها على حياة المجتمع السياسي , هذه النقلة التي عاشها انسان ذلك العصر جعلته يعيش حالة من الصراع او الاختيار بين الماضي و الحاضر , فالماضي ممثلاً بميراثه الفكري و الثقافي و الحاضر ممثلاً بالحياة الجديدة و الغنية بألوان التجارب المختلفة (د, خالد سعدي اسماعيل , المجلد 28 , العدد 11 ,2021 , 153) فقد اتخذ الشاعر العباسي من الشعر معادلاً رسمياً للتعبير عن مدلولات نفسية واجتماعية (ينظر : اسماء صابر جاسم , المجلد 27 , العدد12 , 2020, 88) من ذلك الشعر يمكن أن نوزع عمل الشعراء العباسيين في المقدمات على دائرتين كبيرتين : دائرة تقليدية ، ودائرة تجديدية . أما الدائرة القديمة او التقليدية فهيأ الحياة فيها للمقدمات الموروثة انكبابهم على التراث من ناحية ، واتصالهم بالشعراء البدو والأعراب وبالصحراء في أثناء حجهم وتطوافهم في بقاع العالم العربي من ناحية ثانية، وتمسك اللغويين بالنماذج الفنية الجاهلية ،ودعوتهم لهم دعوة صريحة أن يراعوها ويحتذوا عليها من ناحية ثالثة.

ولكن هذه المقدمات خلقت في صورة جديدة ، صورة يحافظون فيها على الشكل الخارجي معدلين فيه ، ومجددين في تفاصيله وأجزائه ، وملونين له بألوان مستمدة من صندوق أصباغهم الحضاري ، ومولدين في معانيه وصوره ، ومضيفين إليه معاني وصوراً مبتكرة هي من نتاج. فكرهم وخيالهم .وإذا رجعنا ننظر في هذه المقدمات القديمة رأيناها تزخر بألوان شتى من التجديدات.

وأول ما نقف عنده منها المقدمة الطللية التي أصابها ما لم يصب غيرها من التجديد سواء من الناحية الموضوعية أو من الناحية الفنية . فهي من الناحية الموضوعية لم تعد أوعية تسكب فيها الدموع حسرة على المنازل الدائرة وعهود الحب الضائعة فحسب ، بل تحولت أيضاً عند بعضهم إلى منابر يعانون من فوقها آراءهم في الحياة ، سائرين في نفس الطريق التي مهدها بعض الشعراء الأمويين قبلهم من أمثال ذي الرمة والقطامي والعجاج ، فما يصيبها من الإقفار والتغير يصيب الكائنات كلها ، فلا داعي للحزن ، ولا مجال للأسف ، لأن كل شيء مصيره إلى بلى وفناء . غير أنها لم تتحول على كل حال إلى قالب فلسفي ، إنما هي نظرات جزئية توصلوا إليها و بثوها فيها(د. حسين عطوان, 22.).

ونجتزئ بهذه الأبيات التي استهل بها بشار أرجوزته البائية في مدح عقبة بن سلم ، فإنه ضمنها فنونا من هذه المعاني التي أشرنا إليها ، يقول (الاستاذ العلامة محمد الطاهران عاشور، 1950_1966م،140/1):

يا دار بين الفرع والجناب عَفَا عليها عُقَبُ الأحقاب
قد ذهبت والعيش للذهاب لما عرفناها على الخراب
ناديت هل أسمع من جواب وما بدار الحى من كراب
إلا مطايا المرجلِ الصَّحَابِ وَمَلْعَبَ الأحباب والأحباب
ما أقرب العامر من خراب فانقلبت والدهر ذو انقلاب

ولا بد أن نلاحظ تخففهم من بعض المظاهر البدوية لهذ المقدمة ،تلك التي كان الشعراء الجاهليون والأمويون يلمون بها ويستقصونها ، وما أشاعوه فيها من خفة وطرافة ، وما اتصف به أسلوبهم من سهولة ورقة(د. حسين عطوان ، 22) .

واستمع إلى أشجع السلمى يقول في صدر مدحته التائية لجعفر بن يحيى(محمد بن يحيى الصولي (ت 335هـ) ،ط1، 1934م، 93):

قف بأطلال السدى دارسات موحشات
وبها وحش فلاة كالظباء الإنسات
كن احباب المنايا ومحل الشبهات

وعلى هذه الشاكلة مقدمة قصيدة العكوك الرائية التي يمدح بها حميداً الطوسي والتي يقول فيها(ابن المعتز، ص:179.):

ومن الدار دثور ليس فيهن مجير
بليت منها المعاني مثل ما تبلى السطور
قسم البين عليهن رواح وبكور

فنحن نلاحظ عليها نفس ما لاحظناه على أبيات أشجع السلمي السابقة ،إذ تتضح فيها سلاسة الكلمات ، واستواء العبارة ، ووضوح المعنى ، وقصر البحر ،وإعراضه عن حشد الجزئيات والتفصيلات الصحراوية(د. حسين عطوان ، 22).

وهناك شعراء استعاضوا عن المقدمات الطللية بالغزل كما نرى في مديح مروان بن ابي حفصة لمعن بن زائدة . والخليفة المهدي الذي يقول فيه القصيدة التي مطلعها

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك فأستقاد و مثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها

ومنهم من جعل الخمرة فاتحة لقصائده امثال اشجع السلمي و مسلم بن الوليد وغيرهم , وبعضهم تحدث عن حالته النفسية او عن وضعه النفسي , ومن المقدمات التي استهوت عدد من الشعراء العباسيين وصف الطبيعة وما فيها من مباهج سواء كانت ساكنة ام متحركة ويكاد ابو تمام الطائي يكون من المبرزين الاوائل فيه.

نبذة موجزة عن ابو العتاهية:

ابو العتاهية لقب غلب عليه، و اسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، و كنيته أبو إسحاق. و أمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بنى زهرة، ولده محمد بن أبى العتاهية. ولد بعين التمر سنة 130 و توفي في سنة 211هـ (826–784 م)(ابي فرج الاصفهاني1369 هـ _ 1950م ,4/4).

سبب كنيته، حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال: قال المهدى يوما لأبى العتاهية: أنت إنسان متحذلق معته، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه و كنيته، و سارت له في الناس. قال: و يقال للرجل المتحذلق :عتاهية، كما يقال للرجل الطويل: شناهية. و يقال : أبو العتاهية، بإسقاط الألف و اللام.

قال محمد بن يحيى و أخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كنى بأبي العتاهية أن كان يحب الشهوة و المجون و التعته(ابي فرج الاصفهاني، 1369 هـ _ 1950م ,4/4.). هو ولد و نشأ و مات في إقليم واحد، وإن اختلفت به الأماكن من بلد إلى بلد، اختلافا ليس بعيد الشقة. والإقليم الذي نتحدث عنه هو العراق. ذو الحضارات القديمة، والأراضي الخصيبة، و السهول المنبسطة، والأشجار المتشابكة، و الجو المعتدل، و الخيرات الوفيرة. انتقل أبو العتاهية من عين التمر إلى الكوفة صغيرا، أو هو حمل إليها مع أبيه وأهله، و هناك أقام و نشأ، يحمل بين جنبيه و في أعماقه تلك الرهافة المفرطة في الإحساس وفي الشعور، وكان بالكوفة كثير من العرب و كثير من الفرس، فأحس بثقل الوطأة التي يعانيها جنسه من النبط، ولكنه وجد في الكوفة نشاطا ضخما في ميادين مختلفة على النحو الذى صورناه في الفصل السابق، من اثار من البوذية، و ضروب من المجون والعبث والاستهتار، وكانت تعيش إلى جانب ألوان أخرى جادة، من نشاط أدبى كبير، وحركة زاهدة قوية.

وقد شب أبو العتاهية وفى نفسه شاعرية قوية، ووجد أمامه طائفة من الشعراء يعيشون في الكوفة و لهم شهرة واسعة و أشعار كثيرة تتردد في البيئات المختلفة، من أمثال مطيع بن إياس ووالبه بن الحباب و أبى دلامة و حماد عجرد و يحيى بن زياد، و غيرهم ممن كان (يقال لهم حلية الأرض و نقش الزمان)(الدكتور محمد محمود الدش، دار الكاتب للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨م، ٩٧.).

تهمته بالزندقة:

أن الزندقة كانت حركة كبيرة في العصر العباسي : لذلك حاربها الخليفة المهدي ومن جاء بعده ، وقد اتهم عدد من الشعراء بهذه التهمة ، وكان أبو العتاهية واحداً منهم. ويبدو أن تهمته لعداوة شخصية ، لأن ما قيل عنه لم ينهض دليلاً قاطعاً على زندقته.

ونورد هنا أهم التهم . قال محمد بن أبي العتاهية : « لما قال أبي في عتبة :

كان عتابة من حسنها دمية قس فتنت قسها

يا رب لو أنسيتنا بما في جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون ، وشنع عليه أيضاً قوله :

إن المليك رآك أحسن خلقـه ورأى جمـالك

فحـذا بقدرة نفسـه حور الجنان على مثالك

وقال : أيصور الحوز على مثال امرأة آدمية. والله لا يحتاج الى مثال ، وأوقع له هذا على ألسنة العامة : فلقي منهم بلاء ان التهمة واضحة، لأن الأبيات ماهي إلا مبالغات أدبية(ابي فرج الاصفهاني، 1369 هـ _ 1950م ، 51/4). وقال أبو الفرج الأصبهاني في التهمة الثانية وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد ان من يطالع ديوان أبي العتاهية يظهر له بجلاء افتراء هؤلاء القوم لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث. والاقرار بالجنة والنار ، والوعد والوعيد(ابي فرج الاصفهاني، 1369 هـ _ 1950م ,2/4). وفي تهمة ثالثة قال ابو فرج الاصبهاني: قال محمد بن احمد بن حرب كان مذهب ابو العتاهية القول بالتوحيد وان الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء. ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما ... وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء الى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً(ابي فرج الاصفهاني، 1369 هـ _ 1950م ,5/4.). وهذا القول يوافق ما قاله ابن المعتز عن أبي العتاهية : « والذي يصح لي أنه كان ثنوياً(ابن المعتز، ٢٢٨.). ويبدو أنه نظر الى أرجوزته التي يقول فيها(ابو العتاهية, ط2 , 2009، 494):

لكل شيء معدن وجوهر وأوسط وأصغر وأكبر

وكل شيء لاحق بجوهره أصغره متصل بأكبره

الخير والشر بها أزواج لذا نتاج ولذا نتاج

لكل إنسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان

والخير والشر اذا ماعدا بينهما بون بعيد جداً

إن أبا العتاهية – في ظننا – لم يكن زنديقاً ، وانما كان في أول أمره محيراً مذبذباً ثم استقر بعد ذلك على الايمان بالله وباليوم الآخر ، وها هو ذا يقسم : والله ما ديني الا التوحيد» . وقد أصاب الدكتور محمد مصطفى هدارة في قوله : « الواقع اننا نؤمن ايماناً وثيقاً بأن أبا العتاهية ليس زنديقاً ولا كافراً ولكنه يؤمن ايماناً لا يتطرق اليه الشك. وكل ما في الأمر أنه رجل عاش وسط تيارات من الفلسفات المختلفة والمذاهب المتباينة ، فتأثر بها لا تأثر الزنديق ولكن تأثر المؤمن . فهو يستخدم ما في الثنوية من فكرة الخير والشر لتوضيح تيارهما في نفس الانسان وفي العالم كله . ولكنه لم يتعد هذه الحدود وبذلك لم يتعد حدود الإسلام »

زهـــده:

ظل ابو العتاهية يعيش للهو والقصف ، حتى كانت سنة ١٨٠ للهجرة ، وهي السنة التي نزل فيها الرشيد الرقة فإذا هو يتحول من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف ولبس الصوف . ويحاول الرشيد أن يعود به ثانية إلى مديحه الرائع له وإلى ما كان يضفيه عليه من بديع الثناء ، فيمتنع ويضيق الرشيد بامتناعه ، ويأمر بضربه وحبسه في دار موسعاً عليه حتى يصدع لأمره ، ويسترسل أبو العتاهية في استعطافه بمثل قوله (ابن قتيبة، ، دار المعارف_ القاهرة، ج١، ٧٩٢_٧٩٣.) :

إنما أنت رحمـة وسلامـة زادك الله غبطة وكرامة
لو توجعت لي فروحت عنى روح الله عنك يوم القيامة

ويرق له الرشيد ويأمر بإطلاقه ، ويأخذ منذ هذا التاريخ في الإكثار من شعر الزهد وذكر الموت والفناء والثواب والعقاب والدعوة إلى مكارم الأخلاق وقد تشكك معاصروه في هذا الزهد الذي طرأ عليه ، وردته كثرتهم إلى عناصر مانوية ، حتى أوشك حمد وينه صاحب الزنادقة المانويين أن ينزل به العقاب الصارم الذي كان ينزله بأمثاله ، لولا أن موه عليه بالقعود الحجامة الفقراء والمساكين(ابي فرج الاصفهاني، 1369 هـ _ 1950م ,7/4).

المبحث الاول الدائرة التقليدية (مقدمة الطلل)

مقدمة الطلل:

تعد المقدمات الطللية بداية المرحلة الشعورية التي مرر من خلالها الشاعر العربي القديم احاسيسه, وبسط افكاره, لتتناسق في إطار موضوعي متكامل.

فقد وجد الشعراء في مواقف الطلل ما يثير عواطفهم, ويلزمهم بالوقوف أمامه لبرهة من الزمن, فقد ذابت بين حنايا اثار ديارهم ايامهم العزيزة, واندثرت عند نؤيها واحجارها أجمل الذكريات, تلك التي كانت صورها تتداعى في اذهانهم ملوية مشوهة, وتتعالى امام أعينهم خافتة و مندثرة (د, نوري حمودي القيسي,. ١٣٩٤هـ .١٩٧٤م: ٩.).

وقد كان تذكر الديار والاطلال بمثابة «الرموز لتجربة الالم التي يجد فيها الشاعر راحة ولذة نفسيتين يطمئن اليهما في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة»(عناد غزوان,ط1 بغداد ١٩٧٤م, 2.), وتؤدي وظيفة خلق الجو الشعري الذي يمنح الشاعر القدرة على القول, لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتمل في قلبه من عواطف وأفكار؛ وهو في ذات الوقت يهيئ الجو المناسب للمتلقي الذي يجد في هذه المعاناة شبها لما يعانيه أو يحس به(د, نوري حمودي القيسي,.بغداد ط1 ١٣٩٤هـ .١٩٧٤م: ١٠.).

والمقدمات الطللية تحتوي على الكثير من المواقف التي دأب الشعراء على تناولها في قصائدهم, ولاسيما الوقوف على الطلل, وتحديد المنازل، واستعجام الدِّمَن، ووصف بقايا الآثار, واثر الرياح والأمطار,

ووصف قطعان الوحوش في عرصاتها, زيادة على استيقاف الاصحاب وسؤالهم, والبكاء معهم, واستذكار الأيام الماضية, وتذكر أهلها الراحلين(د. حسين عطوان , ٩١.).

ونظرًا لأهمية البحث اللغوي في تقريب المفاهيم وتبسيط المعاني، وجعلها قريبة للأذهان وفي متناول الأفهام – كان من الضروري علينا – ونحن نبحث مفهوم الطلل وما ينطوي عليه من دلالات – أن نعمِدَ ابتداءً إلى استقصاء المعاجم اللغوية والنظر إلى ما تقوله في هذا الباب؛ حيث نلفي أنه قد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور ما يلي: "والطلل ما شخص من آثار الديار، والرسم ما كان لاصقًا بالأرض، وقيل: طلل كل شيء شخصه، وجمع كل ذلك: أطلال وطلول، والطلالة: كالطلل، التهذيب: وطلل الدار يقال إنه موضع من صحنها يُهيَّأ لمجلس أهلها، وطلل الدار كالدُّكَّانة يُجلس عليها، أبو الدُّقَيْش: كان يكون بفناء كل بيت دكان عليه المشرب والمأكل، فذلك الطلل، ويُقال: حيا الله طللك وأطلالك؛ أي: ما شخص من جسدك، وحيا الله طللك وطلالتك؛ أي: شخصك، ويقال: فرس حسن الطلالة، وهو ما ارتفع من خَلْقه(ابن منظور , ط1 ،1997م، ٤٠٦ – ٤٠٧.).

بهذا نجد أن الدلالة اللغوية لمفهوم الطلل لا تختلف في المجمل عما درج الشعراء والنقاد على توظيفه من معنًى، فهي تلك المواضع والأماكن التي أقام فيها الشاعر الجاهلي في فترة من فترات حياته المليئة بالأحداث والمغامرات، ثم جاء زمن واندرست وعفتها الرياح والرمال الصحراوية التي تعاقبت عليها، فلم يبقَ منها غير أجزاء بسيطة شاخصة تُذكِّر الشاعر عندما يعود إليها ويقف عندها متشوقًا باكيًا بتلك الأيام الخالية الهنيئة مع الأحبة الظاعنين، فتذرف عيناه دموعًا حارة تشبه إلى حد كبير في قوتها وغزارتها وشحنة عاطفتها تلك التي تنزل إثر موت عزيز، أو فقدان حبيب ترك فقدانه ورحيله في النفس جراحًا عميقة لا تندمل، وخلَّف في القلب آلامًا معنوية لا تزول ولا تشفى، هذا ويذكر الدكتور مصطفى ناصف في (قراءته الثانية لشعرنا القديم) مفسرًا الظاهرة الطللية ما يلي: "ليس هذا الفن إذًا – ويقصد المقدمة الشعرية الطللية – ضربًا من الشعور الفردي الذي يُعوَّل في شرحه على بعض الظروف الخاصة بشاعر من الشعراء، وإنما نحن بإزاء ضرب من الطقوس التي يؤديها المجتمع، أو تصدر عن عقل جماعي – إن صح هذا التعبير – لا عن عقل فردي أو حالة ذاتية (، الدكتور مصطفى ناصف, دار الاندلس, بيروت_ لبنان, ٥٣.).

وللشاعر ابو العتاهية قصيدة يعبر فيها عن فناء الدنيا والتنفير عنها حيث ابتدئها بالمقدمة الطللية يقول فيها(ابو العتاهية ، ط٢، ١٤٣٠ هـ _ ٢٠٠٩م، ٢٨٢_٢٨٤.):

لِمَن طَلَلٌ أُسائِلُه مُعَطَّلَةٌ مَنازِلُهُ

غَداةَ رَأَيتُهُ تَنعى أَعاليهُ أَسافِلُهُ

وَكُنتُ أَراهُ مَأهولاً وَلَكِن بادَ آهِلُهُ

وَكُلٌّ لِاعتِسافِ الدَهرِ مُعرِضَةٌ مَقاتِلُهُ

وَما مِن مَسلَكٍ إِلّا وَرَيبُ الدَهرِ شامِلُهُ

فَيَصرَعُ مَن يُصارِعُهُ وَيَنضُلُ مَن يُناضِلُهُ

يُنازِلُ مَن يَهُمُّ بِهِ وَأَحياناً يُخاتِلُهُ

وَأَحياناً يُؤَخِّرُهُ وَتاراتٍ يُعاجِلُهُ

كَفاكَ بِهِ إِذا نَزَلَت عَلى قَومٍ كَلاكِلُهُ

وَكَم قَد عَزَّ مِن مَلِكٍ يَحُفُّ بِهِ قَنابِلُهُ

يَخافُ الناسُ صَولَتَهُ وَيُرجى مِنهُ نائِلُهُ

وَيَثني عِطفَهُ مَرَحاً وَتُعجِبُهُ شَمائِلُهُ

فَلَمّا أَن أَتاهُ الحَقـ قُ وَلّى عَنهُ باطِلُهُ

فَغَمَّضَ عَينَهُ لِلمَو تِ وَاستَرخَت مَفاصِلُهُ

فَما لَبِثَ السِياقُ بِهِ إِلى أَن جاءَ غاسِلُهُ

فَجَهَّزَهُ إِلى جَدَثٍ سَيَكثُرُ فيهِ خاذِلُهُ

وَيُصبِحُ شاحِطَ المَثوى مُفَجَّعَةً ثَواكِلُهُ

بدأ الشاعر هذه القصيدة بالمقدمة الطللية جرياً على الطريقة التقليدية القديمة للشعراء في بناء القصيدة. يحدث الاطلال ويحاورها و يسائلها، وكيف أصبح ما تبقى منها يندب الراحل ، وقد كانت يوماً مأهولة بأهلها وساكنيها، ولكنهم بلحظة قد أبيدوا عنها جميعاً، وعلى هذا النحو يصور لنا الشاعر في هذه المقدمة بان الكل مصيرهم الى الزوال والفناء ولن يبقى الا رسومهم .

ونلاحظ ان هذه المقدمة تختلف اختلافاً كبيراً عن المقدمات التي تتحدث عن الغزل بالحبيبة الراحلة مع بقاء اطلالها. ثم يتحول الشاعر بطريقة جميلة جداً وممتعة ولطيفة إلى الغرض الاساس الذي بنا عليه القصيدة الا وهو التنفير عن الدنيا وبيان حقيقتها الزائلة والفانية، وان الدوام سيكون فيما بعد الموت ونلاحظ في البيت الاخير من المقدمة الطللية "وكل لاعتساف الدهر معرضة مقاتله" قد اصبح رابطا معنوياً بين المقدمة والقسم التالي لها.

وله مقدمة اخرى تنطوي تحت هذا الباب يقول فيها(ابو العتاهية ,ط2 ,2009م, 76.) :

أَشاقَكَ مَن أَرضِ العِراقِ طُلولُ ... تَحَمَّلَ مِنها جيرَةٌ وَحُمولُ

وَكَيفَ أَلَذُّ العَيشَ بَعدَ مَعاشِر ... بِهِم كُنتُ عِندَ النائِباتِ أُصولُ

قَبائِلُ مِن أَقصى وَأَدنى تَجَمَّعَت ... فَهُنَّ عَلى آلِ الرَبيعِ كُلولُ

تَمُرُّ رِكابُ السِفرِ تُثني عَلَيهِمِ ... عَلَيها مِنَ الخَيرِ الكَثيرِ حُمولُ

إِلَيكَ أَبا العَبّاسِ حَنَّت بِأَهلِها ... مَغانٍ وَحَنَّت أَلسُنٌ وَعُقولُ

وَأَنتَ جَبينُ المُلكِ بَل أَنتَ سَمعُهُ ... وَأَنتَ لِسانُ المُلكِ حينَ تَقولُ

وَلِلمُلكِ ميزانٍ يَداكَ تقيمُهُ ... يَزولُ مَعَ الإِحسانِ حَيثُ يَزولُ

في هذه القصيدة ايضاً يعرض الشاعر ابو العتاهية المقدمة الطللية التقليدية سائراً في طريق القداما متحدثا عن الشوق للديار مشتكياً من بعد السفر عنها متألماً ومتحسراً على فراقها حيث نرى الحزن واضحاً في هذه الابيات وكأن العيش في ظل هذا البعد قد فقد لذته واصبح بلا معنى ولا شغف وبمهارة وذكاء ودقة محكمة مع الربط بين المقدمة وما يليها ينتقل الشاعر للحديث عن الثناء الذي يتلقوه ال الربيع من قبل من يقصدهم لما يقدموه من الخير لهم دون ان نشعر بهذا الانتقال ثم يتحول الشاعر

بعدها لمدح الفضل بن الربيع بطريقة رائعة جداً واسلوب جميل على عادته في مدائحه الذي نجد فيها من القوة والرصانة بما يعطي للممدوح الشيء الذي يستحقه.

المبحث الثاني
الدائرة التجديدية
(المقدمات المستحدثة)

مقدمة الغزل:

قدم الكثير من شعراء العربية قصائدهم بالغزل والنسب, فشكوا شدة الشوق والم الفراق وفرط الصبابة, ملفتين في ذلك انتباه السامعين, ومستدعين اسماعهم, لان النسيب قريب من النفوس لايط بالقلوب, لما جعل الله من تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء, فليس يخلو احد من ان يكون متعلقا منه بسبب او ضارب فيه بسهم حلال ام حرام(ابن قتيبة، ، دار المعارف_ القاهرة، ١/75_76.).

وفي الوقت نفسه يجب ان نعرف بان حيوية الغزل وصورة المرأة لها القدرة على الفعل والانفعال والقابلية على التعبير عن مدلولات اكثر تشعبا واثارة من تلك التي يعبر عنها الطلل(نوري حمودي القيسي , ١٩.).

فقد كان لها ان تضع الشاعر امام تجربة اكثر إجهادا ولكنها اقدر على توفير عناصر الايحاء, المطلوب من الشاعر توفيرها ليدخل إلى الغرض الرئيس من القصيدة ويمهد للمتلقي تقبله.

وعادة ما تتألف هذه المقدمة من حديث عن صد المحبوبة وهجرها او بعدها وانفصالها, وما يخلفه الهجر والمطل والفراق من تعلق شديد, وشوق مستبد, ودموع غزار, يسكبها الشاعر حسرة والما ولهفة, وسرعان ما تفد على خاطره أيامه الماضية السعيدة وذكرياته الحلوة الجميلة, حيث كان يلتقي بمحبوبته ويبوح كل منهما لصاحبه بحبه ويبادله اعجابا بإعجاب وشوقا بشوق حتى اذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها ومفاتن جسدها(د.حسين عطوان, ص:128).

وفي هذا المجال يقول الشاعرابو العتاهية في احدى مقدماته الغزلية(محمد محمود الدش,1968م ,97.) :

راعَني يا يَزيدُ صَوتُ الغُرابِ ... بِحِذاري لِلبَينِ مِن أَحبابي

يا بَلائي وَيا تَقَلقُلَ أَحشا ... ئي وَنَفسي لِطائِرٍ نَعّابِ

أَفصَحَ البَينَ بِالنَعيبِ وَما أَف ... صَحَ لي في نَعيبِهِ بِالإِيابِ

فَاِستَهَلَّت مَدامِعي جَزَعاً مِن ... هُ بِدَمعٍ يَنهَلُّ بِالتَسكابِ

وَمُنِعتُ الرُقادَ حَتّى كَأَنّي أَرمَدُ العَينِ أَو كُحِلتُ بِصابِ

قُلتُ لِلقَلبِ إِذ طَوى وَصلَ سُعدى لِهَواهُ البَعيدَةَ الأَسبابِ

أَنتَ مِثلُ الَّذي يَفِرُّ مِنَ القَط رِ حَذارَ النَدى إِلى الميزابِ

وهذه النغمة الحزينة تصور شعوره الحائر الخائف الذى يلح على نفسه في صورة متشائمة، يرهق ذهنه وسمعه بها صوت الغراب النعاب الذى أفصح عن ذلك البين الذى انتهى عنده هواه لسعدى، ولم يفصح عن أمل في العودة إليها لأنه تعلق غيرها، ويخشى ان يكون حظه من التعاسة والبلاء في هذا الحب الوليد كذلك الذى طواه الفراق, وإن مثله بين الحبين، القديم والجديد، كمثل الذى يهرب من قطرات الندى ليجد نفسه وقد أغرقه الماء. وليت هذه القصيدة التي وصلت الينا كانت طويلة إذن لوقفنا على صورة أوضح لحياته الفنية والنفسية في مرحلة مهمة من مراحل تطورها، تلك المرحلة التي انتقل فيها من مدينة صغيرة إلى مدينة زاخرة بضروب شتى من صخب الحياة وتعقيدا، يريد أن يختبر فيها حظه، و يوقف حيرته و خوفه عند حد يهفو إزاءه إلى تحقيق كثير من اماله وأطماعه التي فارق وطنه و احبابه من أجلها. ومهما يكن فإن هذه الأبيات التي وصلت إلينا منها، فيها ما يدل على ما يعانيه في هذه المرحلة وجدانيا و نفسيا، إنه يعيش في تجربة قاسية مريرة منذ عشق تلك الجارية سعدى، تلقى بسبب ذلك العشق و بسبب مكانه الاجتماعي المهين ضروبا من الكيد والعنت فيها الضرب والجلد والأذى الفاحش، لأن معشوقته كانت مولاة لبعض الوجوه. فماذا ينتظره إذن و قلبه يتعلق هذه الفتاة عتبة، وهي جارية للخليفة؟ إن يكن ذلك بللا و قطرا و بردا فهذه هو الغرق الذى يزهق النفس بعد أن يرهق الروح. وذلك ما يدفعه إلى أن يكرر هذه الصورة التي تنبض بألفاظ: الارتياع و الحذر و البلاء والتعس و الجزع في خفقات اسية حزينة. إنه في هذه الأبيات يودع حبا أوذى فيه فبان عنه، و يستقبل اخر لا يعرف ماذا وراءه من أذى أو رضا ومن وصل أو قطيعة. بل إن حسه المرهف ليدله على المجهول فيستشف من وراء حجبه نصيبه من هذا الهوى، حينما يقرع أذنيه نعيب الغراب الذى يتطير به، ويربط تطيره هذا بنصيبه من الإخفاق في حبه المودع، ولا تفوته حين يذكر سعدى و هواها، صورة أخيه زيد الذى يناديه و كأنه يستصرخ عونه لينقذه من صورة الغراب.

وها هو ابو العتاهية يقدم لنا قصيدة رائعة في الغزل يقول فيها(**ابو العتاهية , ط2 , 2009م , 497**):

أخـــلاي بـــي شـــجو و لـــيس بكـــم شـــجو وكـــل امـــرئ مـــن شـــجو صـــاحبه خلـــو

رأيـــت الهـــوى جمـــر الغضـــى غيـــر أنـــه علـــى جمـــره فـــي صـــدر صـــاحبه حلـــو

أذاب الهــوى جســمي و عظمــى و قــوتي فلــم يبــق إلا الــروح و البــدن النضــو

ومــا مــن حبيــب نــال ممــن يحبــه هــوى صــادقا إلا يداخلــه زهــو

وإنــي لنــائي الطــرف مــن غيــر خلتــي ومــالي ســواها مــن حــديث ولا لهــو

لهــا دون إخــواني وأهــل مــودتي مــن الــود منــى فضــله ولهــا العفــو

بليــت و كــان المــزح بــدء بليتــي فلأحببــت حقــا والــبلاء لــه بــدو

وعلقــت مــن يزهــو علــى تجبــرا وإنــي فــي كــل الخصــال لــه كفــو

في هذه القصيدة استمر الشاعر ابو العتاهية في التشبيب بجارية الخليفة فقدم اليها هذه الشعر كهدية عاطفته متحدياً بذلك قسوة هواجسه وظنونه مبيناً بأن حبه اقوى من تلك الهواجس والظنون، وجاءت هذه الابيات الرائعة ناطقة ومصرحة بالحب والهيام ذلك الحب الرقيق الصادق المهذب البعيد عن الشهوات والمنفعة المثير للعاطفة تلك العاطفة النبيلة، وصور لنا هذا الحب بانه اشبه بالجمر ولكن رغم ذلك فانه جميل كل هذا جاء نتيجة زهو جمالها وحسنها وجميع صفاتها التي ترضيه بلا شك فهو في ذلك معذور عندما يحتله هذا الحسن وهذا الجمال وكذلك انه معذور عندما يذله دلالها.

وفي مقدمة غزلية اخرى يقول(د. عمر فاروق الطباع، ٢٠١٦م، ١٥٣.):

بِــاللَهِ يــا حُلــوَةَ العَينَــينِ زورينــي قَبــلَ المَمــاتِ وَإِلّا فَاســتَزيريني

هَــذانِ أَمــرانِ فَاِختــاري أَحَبَّهُمــا إِلَيــكَ أَو لا فَــداعي المَــوتَ يَــدعوني

إِن شِــئتِ موتــاً فَأَنــتِ الــدَهرَ مالِكَــةٌ روحــي وَإِن شِــئتِ أَن أَحيــا فَــأَحيِيني

يــا عُتــبَ مــا أَنــتِ إِلّا بُدعَــةٌ خُلِقَــت مِن غَيرِ طينٍ وَخَلقُ الناسِ مِن طينِ

كَــم عائِــبٍ لَــكَ لَــم أَســمَع مَقالَتَــهُ وَلَــم يَــزِدكِ لَــدَينا غَيــرَ تَــزيينِ

كَـــأَنَّ عـــائِبَكُم يُبـــدي مَحاسِـــنَكُم وَصـــفاً فَيَمـــدَحُكُم عِنـــدي وَيُغرينـــي

تعد هذه القصيدة من الطف ما قاله الشاعر ابو العتاهية في الغزل حيث بدأ الشاعر قصيدته مخاطباً عتبة ويستحلفها ان تزوره ولها في ذلك امرين اما ان تزوره وهو على قيد الحياة واما ستكون تلك الزيارة الى قبره وكأن حياته اصبحت بيد تلك الجارية ثم ينتقل بعدها ابو العتاهية لذكر محاسن محبوبته و يوصفها باجمل ما يكون الوصف وكأنها مخلوقة بشكل مختلف عن بقية الناس وهو بهذا يعرض عن كل من يعيبها ويحول هذا العيب الذي يسمعه الى محاسن والذم الى مدح واغراء وهو بهذا قد صور لنا ما يفعله الحب بصاحبه بصورة لا تضاهيها صور اخرى ابداً.

مقدمة المديح:

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية منذ عصر ما قبل الإسلام ، وهو يشكل القسم الأوفى في نتاج الشعراء. وقد نشأ في بادىء الأمر إعجاباً بالفضائل العربية مثل: السماحة ، والكرم والحلم، والمروءة والعفة، والاباء ، والشمم ، والعدل . والقوة. والشجاعة ، وما الى ذلك من الصفات الحميدة ثم أضيف اليها صفات أخرى مستمدة من القيم والمثل الاسلامية مثل: التقوى والورع والتواضع والوقار وخفض الجناح، وظلت هذه الفضائل والمحامد ترد في شعر المديح في عصر بني امية، وأن تحول فريق من الشعراء في مديحهم لخدمة أغراضهم الخاصة وفريق آخر لخدمة أحزابهم السياسية وترويج ما عند هذه الأحزاب من مبادىء وأفكار(د. ناظم رشيد، ١٩٨٩م_١٤١٠هـ، ٢١) .

ولما جاء العباسيون فتحوا الأبواب على مصاريعها للشعراء المداحين ليدخلوها . مدافعين عنهم ، وراديين الخصوم، فجاؤوا مسرعين زرافات ووحدانا ، يتغنون بعظمتهم وقوة سلطانهم ، ويُضفون عليهم تلك الفضائل التي توارثوها عن السلف وقد طرب الخلفاء لهم ، واستأنسوا بهم وخلعوا عليهم ، وحضوهم بالأموال(د. ناظم رشيد، ١٩٨٩م_١٤١٠هـ، 22).

والمديح في العصر العباسي كان مماثلاً للعصور السابقة له ، لكن الشعراء العباسيين زادوا في معاني هذا المديح وصوره بما يتلاءم مع الحضارة العباسية والحياة الاجتماعية الجديدة ومواسم الخلافة والملك وأعياد البلاط ، ومناسبات الحرب والسلم(د. سامي الدهان، دار المعارف_ القاهرة ، ط: ٤ , ٢٢.).

وللمديح نصيب لا بأس به في شعر أبي العتاهية اذ سخره للوصول الى ابواب الخلفاء والولاة والقواد والحصول على الاموال الكثيرة منهم وكان يهز أريحيتهم لأنه يعرف كيف يتخير الافكار القريبة الى نفوسهم بعيون القول(د. ناظم رشيد،١٩٨٩م_١٤١٠هـ، 96.).

وهو على العموم كان يقتنص الظروف الملائمة ليجعل منها مناسبات لإنشاد الشعر يرسله هنا وهناك فيعود عليه بالمال والصيت ومن ذلك قصده إلى المهدي ومدحه بالقصيدة التالية:

وَمَهمَهٍ قَد قَطَعتُ طامِسَهُ ... قَفرٍ عَلى الهَولِ وَالمُحاماةِ

بِحُرَّةٍ جَسرَةٍ عُذافِرَةٍ ... خَوصاءَ عَيرانَةٍ عَلَنداةِ

تُبادِرُ الشَمسَ كُلَّما طَلَعَت ... بِالسَيرِ تَبغي بِذاكَ مَرضاتي

يا ناقُ خُبّي بِنا وَلا تَعدي ... نَفسَكِ مِمّا تَرَينَ راحاتِ

حَتّى تُناخي بِنا إِلى مَلِكٍ ... تَوَّجَهُ اللَهُ بِالمَهابَاتِ

عَلَيهِ تاجانِ فَوقَ مَفرِقِهِ ... تاجُ جَلالٍ وَتاجُ إِخباتِ

يَقولُ لِلريحِ كُلَّما عَصَفَت ... هَل لَكِ يا ريحُ في مُباراتي

مَن مِثلُ مَن عَمُّهُ الرَسولُ وَمَن ... أَخوالُهُ أَكرَمُ الخُؤولاتِ

(ابي فرج الاصفهاني1950, ط2, 62/4).

تبدو حالته النفسية واضحة في حثه الناقة على الإسراع ،بل إنها ليست في حاجة إلى هذا الحث لأنها وهي النشيطة العيرانة العذافرة لا تبغي إلا مرضاته بأن توصله إلى غايته ومن الواضح أن عناصر المديح عنده تتكئ على وصف الممدوح بالمهابة والجلال جلال التاج والملك وجلال التواضع والخشوع وعلى الكرم السريع الذي يسبق الريح وعلى النسب الذي يصله بالرسول ﷺ من ناحية الأب كما يصله بالتبابعة من ناحية الأم(الدكتور محمد محمود الدش , 1968, 133.) .

وفي هذا المجال يقول ابو العتاهية في مقدمة احدى قصائده مادحاً الخليفة المهدي :(ابو العتاهية , ط2, 2009, 408.).

سقيت الغيث يا قصر السلام ... فنعم محلة الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نسورا وخفك بالملائكة الكرام

سأشكر نعمة المهدى حتى تدور علىّ دائرة الحمام

له بيتان: بيت تبعى و بيت حل بالبلد الحرام

في هذه القصيدة يبدأ ابو العتاهية مخاطباً القصر الذي يجلس فيه الخليفة المهدي مشبهاً المهدي بالغيث الذي يسقي ذلك القصر فما اجمل ذلك التشبيه ثم يصفه بعد ذلك بالهمام هذا الوصف الرائع الذي يعني السيد الكريم الشجاع السخي القوي وهذه عادة المادح في ممدوحه حيث يقوم بذكر الصفات الحسنة وينتقي في ذلك الالفاظ الجزلة والعبارات الرائعة.

وعلى هذا النحو من الاسلوب ومن العناصر التي وضفها الشاعر في هذه القصيدة وفي قصائده الاخرى والتي تشمل القوة والمهابة والمكانة الرفيعة والنسب والتي اعتمدها ابو العتاهية في مدح الخليفة الهادي ومن بعده الرشيد حيث يقول في مدح الهادي عندما تولى الخلافة(ابو العتاهية, ط2 , 2009, 211.).

يضطرب الخوف و الرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكر

ما أبين الفضل فى مغيب وما أورد من رأيه و ما أصدر

فكم ترى عز عند ذلك من معشر قوم و ذل من معشر

يثمر من مسه القضيب ولو يمسه غيره لما أثر

وبمثل هذه القوة يمدحه عند ما عقد ولاية العهد لبنية الثلاثة، الأمين و المأمون و المؤتمن، فيقول:

رحلت عن الربع المحيل قعودي إلى ذي زحوف جمة وجنود

و راع يراعى الليل في حفظ أمة يدافع عنها الشر غير رقود

بألوية جبريل يقدم أهلها ورايات نصر حوله و بنود

تجـــافى عـــن الـــدنيا فـــأيقن انهـــا مفارقـــــة ليســـــت بـــــدار خلـــــود

و شـــد عـــرى الإســـلام منـــه بفتيـــة ثلاثـــــــة أمـــــــلاك ولاة عهـــــــود

هـــم خيـــر أولاد لهـــم خيـــر والـــد لـــه خيـــر ابـــاء مضـــت و جـــدود

بنـــو المصـــطفى هـــارون حـــول ســـريره فخيـــــر قيـــــام حولـــــه و قعـــــود

تقلـــــب ألحـــــاظ المهابـــــة بيـــــنهم عيون ظباء في قلوب أسود (ابي فرج الاصـــــــــــفهاني , ط2 ,1950م ، 106/4.)

وهكذا نجد أن أعمال الرشيد العسكرية كانت توحى إلى أبى العتاهية بالمعاني الجديدة في شعره، يصوغها في الكلمة القوية المناسبة، و البحور الطويلة، و الموسيقى الصاخبة القارعة، بحيث لا تجتمع هذه العناصر متكاملة إلا حينما يمدح هذا الخليفة الكبير.

المقدمة الخمرية:

تطلق الخمريات على الأشعار التي تتناول عالم الشراب، بدءا بالخمرة وأوصافها، مرورا بأوانيها وأشكالها، ورجوعا إلى مواطنها وكرومها، ووصفا لمجالسها، وما تضمه من سقاة وندمان وغناء ولهو وطرب، وتتبعا لتأثيرها في النفس ودبيبها في مفاصل الجسد، وما يحصل منها من نشوة وخيلاء، وما يجري في مجالسها من طرائف ولطائف وطقوس وشعائر، وغير ذلك مما جعل القصائد الخمرية أو الأبيات التي تضمها قصائد الشعر العربي في هذا الموضوع تنال مكانة بارزة، وتكاد تكون نوعا مستقلا بذاته؛ لما تتميز به من خصوصية الوصف والسياق القصصي أحيانا، ومن أبعاد سياسية واجتماعية في أحيان أخرى(جواد علي ، ٢٠٠١م، ط٤، 8/ ٢٥٨-٢٥٦.).

ازدهر شعر الخمرة ووصفها والتغني فيها في العصر العباسي، ووجد الشعراء في هذا العصر متنفساً للتعبير عمّا يدور في خلَدهم من شعر في وصف الخمرة وشربها ومجالسها ونحو ذلك وقد ساعد على ذلك الازدهار عوامل عدة اهمها اللهو والمجون فمن أهم أسباب النهضة الأدبية في هذا العصر هي الحرية الواسعة التي وجدها الشعراء في ساحة النظم، فإنهم أطلقوا عنان خيالهم في كل شيء دون خوف أو وجل أو استحياء معبرين عن عواطفهم ومشاعرهم بما يملي عليهم الجو الذي كانوا يعيشون فيه وهذه الحرية إن دفعت الشعراء إلى الإكثار من النظم

أدت إلى ظهور تيارات شعرية بعيدة عن الخلق العربي الأصيل والتربية الإسلامية النقية، ومن يرجع إلى المصادر الأدبية يجد شعرا جما في المجون والدعوة إلى التحلل والانسياق وراء اللذة والمتعة والقصف في مجالس الجواري والغلمان(د. ناظم رشيد، ١٩٨٩م_١٤١٠هـ، 20.).

كما إن الاختلاط والمصاهرة القائمة بين المجتمع العربي والفارسي في أثناء الدولة العباسية نتج عنها نتائج عدة فورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني الفارسي من أدوات لهو ومجون وساعد على ذلك، ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة فإذا الفرس المنتصرون يمعنون في مجونهم و يمعن الناس معهم(شوقي ضيف, دار المعارف _ القاهرة, ط:8, 65.).

ولشاعرنا ابو العتاهية في ذلك مقدمة خمرية جميلة يقول فيها(ابو العتاهية , ط2 ,2009م, 212.):

لَهفي عَلى الزَمَنِ القَصيرِ ... بَينَ الخَورَنَقِ وَالسَديرِ

إِذ نَحنُ في غُرَفِ الجِنانِ ... نِ نَعومُ في بَحرِ السُرورِ

في فِتيَةٍ مَلَكوا عِنانَ ... الدَهرِ أَمثالِ الصُقورِ

ما مِنهُمُ إِلّا الجَسو ... رُ عَلى الهَوى غَيرُ الحَصورِ

يَتَعاوَرونَ مُدامَةً ... صَهباءَ مِن حَلَبِ العَصيرِ

عَذراءَ رَبّاها شُعا ... عُ الشَمسِ في حَرِّ الهَجيرِ

لَم تُدنَ مِن نارٍ وَلَم ... يَعلَق بِها وَضَرُ القُدورِ

وَمُقَرطَقٍ يَمشي أَما ... مَ القَومِ كَالرَشاءِ الغَريرِ

بِزُجاجَةٍ تَستَخرِجُ ال ... سِرَّ الدَفينَ مِنَ الضَميرِ

زَهراءَ مِثلِ الكَوكَبِ الدُرِّي ... يِ في كَفِّ المُديرِ

تَـــــدَعُ الكَـــــريمَ وَلَـــــيسَ يَـــــد ... ري مـــــا قَبيـــــلٌ مِـــــن دَبيـــــرِ

وَمُخَصَّـــــــــــــراتٍ زُرنَنـــــــــــــا ... بَعـــــدَ الهُـــــدّوِّ مِـــــنَ الخُـــــدورِ

رَيّـــــــا رَوادِفُهُـــــــنَّ يَـــــــل ... بَســـــنَ الخَـــــواتِمَ فـــــي الخُصـــــورِ

غُـــــــرِّ الوُجـــــــوهِ مُحَجَّبـــــــا ... تٍ قاصِـــــــراتِ الطَـــــــرفِ حـــــــورِ

مُتَنَعِّمـــــــــاتٍ فـــــــي النَعـــــــي ... مِ مُضَـــــــــــمَّخاتٍ بِـــــــــالعَبيرِ

يَـــــرفُلنَ فـــــي حُلَـــــلِ المَحـــــا ... سِـــــنِ وَالمَجاسِـــــدِ وَالحَريـــــرِ

مـــــا إِن يَـــــرَينَ الشَـــــمسَ إِل ... لا الفَـــــرطَ مِـــــن خَلَـــــلِ السُـــــتورِ

نلاحظ ان ابا العتاهية قد اطال في هذه المقدمة خاصة أنها تحمل إليه ذكرى أيام لاهية وليال عابثة تثير فيه الحنين إلى ذلك المجلس الذي يشبه غرفة من غرف الجنة وهو مع ندمائه الفتيان الأقوياء الجسورين الذين لا يهابون شيئاً في الحياة ولا يرهبون شيئاً من الدهر ؛ يعومون في بحر من السرور, فهم لا يشربون إلا الخمر الجيدة أو الممتازة صهباء من حلب العصير ؛ وهي بكر لم يقربها أحد قبلهم تربت في شعاع الشمس على مهل ولم تحرقها ؛ وهي نقية طازجة يأتي بها ساق كالظبي يتبختر يحملها في زجاجة وضيئة في كفه لا تلبث أن تلعب بالعقول فتخرج الأسرار من الضمائر وتتركهم سكارى , ولكن المجلس فيه شيء أكثر من الخمر، فيه غانيات, فقد دقق في وصف هذا المشهد ليظهر عليهن آثار النعمة والجمال ويقفنا فيه على تفصيلات في الملابس والألوان والروائح في استعارات وكنايات بارعة(الدكتور محمد محمود الدش , 1968م, 139_140.).

الخاتمة:

بعد هذه المسيرة الطويلة التي عشناها مع هذا الموضوع، إلى أن وصل لصورته الحالية بتوفيق الله وعونه، قدمنا فيها ما تيسر لنا الإطلاع عليه والوصول إليه.

فقد توصلت من خلال هذه الدراسة التي تحدثت فيها عن (التطور و التجديد في مقدمة القصيدة في العصر العباسي ابو العتاهية انموذجاً)

وخرجت من هذا البحث بعدة نتائج أهمها يتلخص فيما يلي:

1_ ارتباط أبي العتاهية بماضيه وانطلاقه منه ، وجعله نقطة بداية وانطلاق مسيرة .

2_ استخدام أبي تمام لمعاني المقدمات التقليدية عند الشعراء المتقدمين ، مع التخفيف من حدة الطابع البدوي والتحوير والتغيير بما يراه مناسباً .

3_ أخرج أبو العتاهية مقدمات تعكس شاعريته ، وذلك عن طريق نظمه لمقدماته, وصوغ معانيه ، واختيار ألفاظه ، ورسم صوره بشكل متقن .

4_ ربط أبي العتاهية بين ماضيه وحاضره بأسلوب يتفق مع عصره وذوق جمهوره وبيئته المتحضرة وذلك من خلال استخدام ألفاظاً ترتبط بالماضي ، وأخرى تدل على عصره ، وبالتالي نتج عن ذلك أسلوباً مزيجاً بين الماضي والحاضر .

5_ تجديد أبي العتاهية في مقدمات قصائده ، حيث بدأ بعض قصائده مقدمات جديدة تناسب عصره وبيئته ، وهو من خلالها أراد أن يثبت حضوره وشاعريته ، بل تفرده بميزات دون غيره من الشعراء ، وتم له ذلك ، حيث صار من أشهر شعراء العصر العباسي ، بل شعراء العربية جميعاً .

6_ الربط المحكم بين مقدمات قصائده ومضمونها بشقيهما التقليدي والتجديدي .

وفي الختام لا يمكن لهذا الجهد المتواضع أن يلم بكل ما قيل ودرس في هذا الموضوع، ونرجو أن نكون قد بذلنا بعض الجهد، ووفقنا في توضيح بعض معالم التجديد التي تخللت العصر وأن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم، ونسأله سبحانه الرضى والتوفيق.

Sourcces and References:

- A second reading of our old poetry, Dr. Mustafa Nassif, Dar Al-Andalus, Beirut - Lebanon.
- Abjad Al-Uloom, Siddiq bin Hassan Al-Qanouji, (d. 1307AH), Investigation: Abdul Jabbar Zakar, Ministry of Culture and National Guidance, 1971, Part 1.
- Abu Al-Atahiya, His Life and Poetry, Dr. Muhammad Mahmoud Al-Dash, Dar Al-Kateb Printing House, Cairo, 1968.
- Al-Madah, Dr. Sami Al-Dahan, Dar Al-Maarif_Cairo , 4th Edition, Book of Songs, Abu Faraj Al-Isfahani, Investigation: Samir Jaber, Dar Al-Fikr_Beirut, 2nd Edition, 4th Edition.
- Al-Misbah al-Munīr fī Gharīb al-Sharḥ al-Kabīr , Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAlī al-Fayyūmī, edited by ʻAbd al-ʻAzīm al-Shināwī
- Al-Mujam Al-Wasit , directed by :Ibrahim Mustafa et al. , Dar Al-Dawa, Istanbul, Turkey ,DT, 1889 , 3/570.
- Arabic Literature in the Abbasid Period, Dr. Nazim Rashid, Dar Al-Kutub for Printing and Publishing, Mosul University, 1989 AD_1410AH .
- Book of Papers, Department of Poets' News, Muhammad bin Yahya Al-Suli (d. 335AH), Al-Sawi Press, Egypt,1st Edition, 1934AD.
- Book of Songs, Abu Faraj Al-Isfahani, Egyptian Book House - Cairo, 1369AH _ 1950AD, Vol. 4 .
- Classes of poets ,Ibn al-Mu 'taz, investigation: Abdel Sattar Ahmed Farraj, Dar al-Maarif_Egypt.
- Diwan Abu Al-Atahiya, Investigation: Abdul Rahman Mustawi, Dar Al-Maarefa, Beirut - Lebanon , 2nd Edition, 1430AH_2009AD.
- Diwan Bashar bin Bard, Professor Muhammad Al-Tahran Ashour, Investigation: Muhammad Refaat Fathallah and Muhammad Shawqi Amin, Committee for Authorship, Translation and Publishing_Cairo, 1950_1966AD,Part 1.
- Ghazali lament, Enad Ghazwan, 1st Edition, Al-Zahraa Press - Baghdad 1974.
- History of Arabic Literature, Abbasid Period I, Shawqi Daif, Dar Al-Maarif _ Cairo, 8th Edition.
- Introduction to the poem in the first Abbasid era, d. Hussein Atwan, Dar Al Maaref, Egypt, Cairo.
- Jamhara Al-Lughah, Abu Bakr Muhammad bin Duraid Al-Azdi, (d. 321AH), investigation (Ramzi Munir Baalbaki), Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, First Edition 1987, Part 2.
- Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor, Dar Sader,Beirut,M6,1st Edition,1997.
- Poems of Love and Beauty, Dr. Omar Farouk Al-Tabaa, Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, Beirut - Lebanon, 2016.
- Poetry and Poets, Ibn Qutaybah, Investigation: Ahmed Mahmoud Shaker, Dar Al-Maaref - Cairo, Part 1, p.: 792_793.
- Texts of Arabic poetry before Islam, Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Ministry of Higher Education - Baghdad.
- The Detailed History of the Arabs before Islam, Jawad Ali , Dar Al-Saqi_Beirut, 2001, 4th Edition, c: 8.

- The pleasure of expulsion in the journeys of Abu Nawas , Asmaa Saber Jassim , Hussein Ahmed Abawi , Journal of Tikrit University of Humanities , 2020 , Volume 27 , Issue 12.
- The Psychological Foundations of Artistic Creativity in Poetry, especially, Mustafa Suef, Dar Al-Maarif, Cairo, 1970, 3rd Edition.
- The role of the Abbasid recipient in determining the topics of the Abbasid poem, Dr.Khaled Saadi Ismail , Journal of Tikrit University of Human Sciences , 2021 , Volume 28 , Issue 11.
- The unity of the subject in the pre-Islamic poem, Dr. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Dar Al-Kutub Foundation for Printing and Publishing. Mosul, Iraq. 1394AH - 1974AD: 9.